

ونائب الشام يلغا الناصري الحروب التي جرت لهم مع منطاش . ثم حضر وقعة الناصري المذكور مع عرب نغير وغيرها من الحروب
وفي سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق تلك الطامعون على بعض اقطاعاته واقطاع
اقاربه فتوجه الى مصر وتعرف باينال حطب (كذا) من اعيان امراء مصر واسترجع
ما خرج من الاقطاع وحصل بسفرتة هذه على نفع . وجهات اقطاعه شطر من اقطاع
ايه شركة مع اخيه شرف الدين لكل منهما امرية خمسة . فلما توفي عز الدين ابن
علاء الدين الغراموني بقيت بيد شرف الدين امرية الخمسة بكاملها وهي المبيعة من
علاء الدين لشرف الدين وعز الدين . فحصلوا خبر عز الدين الذي كان تلقاه عن ايه
ظهر الدين مناصفة نصف منه لمحمد ابن عز الدين وكان محمد صغيراً ونصف لسيف
الدين ابني بكر المذكور بما فيه من جهات يبروت زيادة على اقطاع عز الدين
وتزوج سيف الدين المذكور سارة بنت شرف الدين سليمان ابن سعد الدين وهي ام
ولده احمد . وتوفي احمد صغيراً وكانت تلوح عليه ملامح التجابة وحسن الخلق وتوقد
الذهن . توفي بعد وفاة امه سارة وفي ايام ايه ولم يكن له ولد ذكر غيره . ثم تزوج
سيف الدين المذكور بزینب بنت عز الدين الحسين ابن بدر الدين يوسف (١١٥٧)
الغراموني . وكانت وفاته رحمه الله تعالى ليلة الاربعاء السابع عشر من شهر ذي القعدة
سنة ثلثين وثمانائة (١٢٢٧ م) (ستأتي البقية)

السفر العجيب الى بلاد الذهب

لاب اميل رينو اليسوي (تابع لما سبق)

الفصل العاشر

في نشأة نصّة بروسبر اولري ونسب وبیترس لاضف

ان بروسبر اولري ابن اخي جون اولري الذي كانت لاسمه دنّة عظيمة على اثر
حادثة نسيب كان اول من هاجر الى الاسكا . وكان في بدء امره شكس الطباع لا
يعمل الا بهواه فكرهه عنه مفضلاً عليه المستر نسياً لا شامد فيه من الرقة والدماثة
ولين العريكة وعهد اليه بادارة مناجم في كاليفورنية . وما طالت المدّة حتى مات جون

اولري وكان ابن اخيه بروسبر مسافراً وقتئذ في ألاسكا فلم يكن يستطيع ان يطالب بتركة عمه فضلاً عن أنه لم ينته خبر وفاته إلا بعد فوات الوقت ومضي المدة الطويلة وكان ان امرأته لم تقوَ على احتمال البرد القارس في النواحي القطبية فأصيبت بمرض شديد. وفي ذلك الحين وردته إحدى الجرائد ناقلة خبر اكتشاف تلك الورقة الملطخة بالدم فتواردت الظنون على خاطره لكنه لم يكن قادراً على مفارقة امرأته في حال مرضها الاخير. ثم ان امرأته بعد ان قاست الارجاع المبرحة مدة من الزمان لنقلت روحها فدناها ما بين التايوج وعاد قافلاً الى مدينة سان فرانسيسكو

وكانت الاوراق المتعلقة بمسألة نسيب وحميه اولري قد علاها الغبار ونسج عليها العنكبوت فلما انتهى الى سان فرانسيسكو اخبرت الجرائد عن قدومه وقد سعى بعض السعي لمعرفة السر الذي اكتنف وفاة عمه فلم يقدر. ومن ثم سافر الى مناجم كاليفورنية التي كانت قد انتقلت اليه بالميراث على اثر هرب نسيب ووفاة ابنة عمه جيني اولري وبعد ان اقام بضعة ايام في سان فرانسيسكو اضطرته الاشغال للذهاب الى شيكاغو

وهناك التقى بالمستى پيترس لاضف وكان ذلك ليله عزمه على السفر لاضف المذكور هو ذلك المسافر الذي ركب آخر الكل في الباخرة « انكون » التي سبق الكلام عليها. وبرت له مع احد الركاب عند وصول الباخرة الى كلونديك مشاورة عند السلم مر خبرها ثم انه اتخذ من الادلاء المنود من خانوه في الطريق ودهوره في وادي عميق ولحن حظه على ثوبه قبل الوصول الى قعر الوادي بنوره في الصخر ولولا ذلك لمات وانظفاً ذكره وقد مر الخبر في كيفية خلاصه من هذه الحنة

والحاصل ان ذينك المتخاصين في الامر پيترس لاضف وبروسبر اولري التقيا وجهاً لوجه وكان كل واحد ينظر الى الآخر متعجباً دون ان تبدو من أحد منهما كلمة. وطال تحديق الاثنين احدهما بالآخر الى ان وقف پيترس لاضف ودنا من مشقده حياته وعيناه كأنهما لسانان تاطقان بما تضمن فواده من معرفة الجليل لمن خلصه من الموت

فبعدها وقف بروسبر اولري ممانقاً خصه ولبث الاثنان على هذه الحالة مدة من الزمان دون ان ينطقا بكلمة وأخيراً بعد ان سكن ثائر العواطف قال بروسبر اولري: « اني قد انقذتك من الموت اما الشرون التي جرت في شيكاغو فلنظور عليها كشحاً ولقد هربت من مبارزتي وما كنت لاطن اني التي بك هنا. ولكن فلننس ما مضى »

أما بيترس لاضف فاقصر من الجواب على كل هذا بان نظر اليه نظرة ابتهاج ثم حول وجهه متأثراً وتحركت شفاهه كأنه يريد ان يتنم بعض كلمات فالتخني اولري مصفياً اليه ليعرف ما يقول: وكان وقتئذ ان الرجل صاحب البرنيطة الكبيرة قد دنا من الاثنين فنظر نظرة الغضب الى كليهما. اما بيترس لاضف فارتشت اعضاؤه وقال: « احذر من... » ولم يزد على ذلك وكانت قد اخذته حركات تشنجية فلم يقر على الكلام وكان رافساً يده كأنه يريد الدلالة لئيبها على شي. معلوم

والثنت بروسبر اولري فلم ير غير صاحب البرنيطة الكبيرة فاذا به يحملق بنظره اليهما فتمعجب من ذلك لكنه لم يعبأ به وكان في غضون ذلك ان بيترس لاضف انتعش متردداً قوته شيئاً بعد شيء. ثم جلس سوياً فعمد بروسبر اولري الى بطلة ممتلئة شراباً كانت في جيبه وناولها اياها. وكان صاحب البرنيطة الكبيرة يراقب ذلك كله محدقاً ببصره فيهما وكان لنظراته تأثير قوي على لاضف بحيث كان يشعر منها بآثر عاير عظيم. اما بروسبر اولري الذي كان مهتماً ببدواة الجريح فخطر له ان ما اعتراه من تلك الحركات التشنجية ناجم عن تأثير البرد فيه فانفضه قائلاً: « له انك محتاج الى الراحة. واسمه على المشي حتى انتهى الى صخر منفرد كان الى جانبه ثغرة في الارض فأقعدته هناك قائلاً له ان يرقد لعله يستعيد قواه لاسياً وان الثغرة بمنجاة من الريح والبرد

قال هذا وبسط في ذلك النار الطبيعي قطعة من الكاوتشوك كان قد وجدها في طريقه لان جميع امتعه كما عرفت بقيت في ساحة المراك بعد خيانة الهنود الذين استأجرهم لحمل اثقاله ثم مده فوقه غطاء من جلد الحيوان وترك عنده البطة ذات الشراب النعش وابتعد عنه بضع خطوات متيناً له رقاداً هيناً

ربنا هو متباعد ابصر صاحب البرنيطة الكبيرة الذي كان قد لحقها عانداً خلفه. وكانت قد هبت وقتئذ ريح خفيفة فبددت اليريم واثارت الشمس القطيعة باشتها الضعيفة عند مغيبها تلك البقعة المتجمدة فكان لامكاس انوارها على الصخور والرهاد والجبال مناظر غريبة مدهشة. فجلس بروسبر يريد الراحة غير انه لم يمكنه ان يذوق طعمها بل كان يجيل في ذهنه ما جرى له من الحوادث فتمثلت له تلك الهاوية العميقة وذلك الجسم الذي كان معلقاً في الفضاء. ونقط الدم التي كانت تصبغ الجسد بلونها

الاحمر الثاني وتذكر العراك الذي انتشب بينه وبين الذين استأجرهم من الهنود لهدايته الى الطريق وكيف نجح من شرهم بوصول صاحب البرنيطة الكبيرة. وكان اولري يرتجف مرتعداً لدى عودة هذه التذكارات المؤثرة على ذهنه

ثم انه افكر في هذا الرجل الغريب الشكل وجعل يقول في نفسه: من هو ياترى هذا الشخص الذي شاهد فيه هيئة شوم وما الداعي لنطقه بكلمات متقطعة دون امانة... ولماذا صرخ بيترس لاضف عند مرآة تلك الصرخة المنبثة بخوف شديد... ولماذا انقطع عن الكلام لدى اقترابه بعد ان كان قد هم بكشف ضميمه

وتذكر انه قال له حينئذ: «احذر من...» دون ان يقول له ممن ولا بما يجذر. ثم خطر له ان لاضف اراد ان يحذره من صاحب البرنيطة الكبيرة لا بل تأكد عنده ذلك لاسيا وانه كان قد رآه يراقب بيترس لاضف مراقبة الغادر بينما كان مستعداً الى ذراعه في ذهابه الى النار

وبينما كان الهدوء قد نشر جناحه على كل شي. وكان الهنود قد اغفوا واناموا التفت بروسبر اولري فرأى شجاً منتصباً ولكن ما لبث الشيخ ان غاب عن بصره فلم يحفل لمرآه. وبعد ان استمر بضع دقائق واقفاً في الحلق نفسه التمس له كئناً يوقد فيه واشتل بغطاء فنام

واذ ذاك شوهد خيال رجل ينساب ما بين الصخور وهو يعيشي ببطء حتى لا يشعر احد بحركته. وكان يتوقف المرة بعد المرة ثم يتأفف السيد ماشياً ودا. الصخور وما مضت بضع ثوانٍ حتى صار على مسافة خطوات بيعة من بروسبر اولري وحينئذ تمدد على بطنه فوق الجليد ورفع رأسه قليلاً فشاهد ان بروسبر اولري لم يزل مستيقظاً فاتمنا عينيه فناد الى الورداء وجثم لا يتحرك ولا يتنفس منتظراً وقاده

وكانت الريح تتفخ في تلك الساعة بحيث لم يكن يسمع سوى هبوبها في وسط الهدوء التام والجو عاد فتلبد بالغيوم المظلمة كأنه يريد ان يزيد شقاء الحلق شقاء

على ان بروسبر اولري ما لبث ان اغنى واختلط صوت شخيريه بما كان يسمع من صوت هبوب الريح. اما صاحب البرنيطة فنهض مستمعاً ولماً تأكد كل التأكد ان بروسبر اولري مغيب تسأل ثم اخرج نضلة مرهنة الحدين وشهرها فوق رأس النائم يريد قتله

دينا هو يهم باعتماد مديته في قلب المسكين اذ سح صوتاً ضعيفاً ينتهره قائلاً:
ويلك يا نسيب ماذا تفعل ؟
فترقت الضارب مندهشاً وقال:
" من هو الذي يدعوني باسمي ؟ "

— انا بيترس لاضف الذي عرفته باسم « فاضل »

وفي حقيقة الامر لم يكن ذلك التكبور الذي رأيناه في اسوأ الحالات معلقاً على
ذرة صخر فوق هوة فاعرة فاما لتبتلعها غير اللبساني فاضل وكان قد بدل اسمه باسم
بيترس لاضف ليتخلص من يد الحكومة خوفاً من نسيب يوم رماه بسرقة شذرات
الذهب. وكان من امره بمدنجاته من الموت على يد بروسير اولري انه رأى وجه صاحب
البرنيطة الكبرى فرفقه للحال انه المستر نسيب بعينه. ولما رآه ينظر شزراً اليه والى
بروسير اولري فهم انه يضرر لهما سوءاً. فاكاد يبتعد اولري عنه حتى قام من مكانه
ومشى مستنداً الى عصاته ليتفقد امر مخلصه فرأى ذلك الشيخ يترصده فاستخفى
فاضل وراء صخرة حتى يدافع عند الحاجة عن منقذه. ولما نظر القاتل ورأى بيده
شفرته اللامعة انتهره باسمه كما رأينا

فقال نسيب: قد عرفتك يا « فاضل » او بالحري يا « شرير ». وماذا تريد ؟

— اريد قياماً بنة العرفان بالجميل لن انقذ مخلصي من الموت الاحمر وان اقتضى

الامر ان افديه بجياني

فلما سمع نسيب هذا الكلام خاف ان يوظف فاضل بروسير اولري فيقوم الاثنان
في وجهه ولا يعود يقوى عليهما فالتجأ الى الحية وقال لفاضل كأنه قدم على ما قرط:
« لقد احنت صنعا يا فاضل بصدي عن اتيان جريمة لا تأتي بنفع فلندع بروسير اولري
ينام هنا قدر ما يريد ولا يخفى عليك ان الهنود لشدة غضبهم من قتل اخوانهم
لا يبتغون الا مطاردتنا فاحسن شي. اذاً ان نجد في السير. هذا ولا اظنك تؤثر ان
تنتظر من انقذك من الموت الى ان يفتق فموتاً كلاكما في هذا المضيق »

(ستأتي البقية)